Journal Of the Iraqia University 65-1(31-1) January (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

رثاء الحسين -عليه السلام- في الشعر الأندلسي

م. م. أحمد عبد الحميد رسن / جامعة واسط كلية العلوم

م. م. سجى جواد مهدي / جامعة واسط كلية العلوم

Andalusian poetry Lamentation for Hussein - peace be upon him - in

ahmedabd@uowasit.edu.iq

sajaaltaee76@gmail.com
Ahmed Abdul Hameed Resen Assistant Lecturer:
ahmedabd@uowasit.edu.iq

Saja Jawa Mahde: Assistant Lecturer
sajaaltaee76@gmail.com

10.58564/MABDAA.62.2.2023.518

ملخص البحث

أن نهج الحسين المتسامي في التضحية والفداء شغل الكثير من الادباء على مر العصور فكان نورا يستضاء به من ظلام حكام الجور, كان لمأساة كربلاء أثر كبير في نفوس الاندلسيين الذين اتخذوا من الحسين منهاجا للحرية ومقارعة الظلم ، وانعكس ذلك على الادب الاندلسي، إذ اعجبوا بشجاعته وتضحيته. واتخذ شعراء الاندلس من الإمام الحسين رمزا للتضحية والعدالة، وظهر ذلك جلياً في قصائدهم كمظهر للصمود والإباء في وجه الظلم والجور، مما يبرز تأثير الإمام الحسين على الوعي الثقافي والديني في المجتمع الأندلسي.لقد نهض هذا البحث المتواضع بمهمة تسليط الضوء على نماذج من الأدب الحسيني الذي عرفته الأندلس، إذ وجد فيه الأدباء متنفساً للتعبير عن مشاعرهم اتجاه هذه النهضة العظيمة، واقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مطلبين الأول التشيع في الأندلس أما الثاني فكان حول رثاء الحسين عند الأندلسيين.

كلمات مفتاحية : الشعر الأندلسي, رثاء الحسين, واقعة الطف

Lamentation of Hussein - Peace be upon him - in Andalusian Poetry

The elevated path of Hussein in sacrifice and redemption has captivated numerous literary figures throughout the ages, serving as a guiding light against the darkness of oppressive rulers. The tragedy of Karbala left a profound impact on the souls of Andalusians, who embraced Hussein as a model for freedom and resistance against injustice. This sentiment resonated in Andalusian literature, where poets admired his courage and sacrifice.Andalusian poets adopted Imam Hussein as a symbol of sacrifice and justice, evident in their verses that portrayed resilience and defiance against tyranny and oppression. This reflects Hussein's influence on cultural and religious awareness in Andalusian society. This humble research endeavors to shed light on instances of Hussein's literature in Andalusia. Literary figures found in it a means to express their emotions regarding this grand resurgence.The research is divided into two main sections: the first explores Shiite sentiments in Andalusia, while the second focuses on the lamentation of Hussein among Andalusians.

Keywords: Andalusian Poetry, Lamentation of Hussein, the Incident of Taff.

المقدمة:-

عبرت طلائع الفتح الاسلامي البحر صوب اوربا – اسبانيا الحالية – في شهر رجب سنة ٩٢هـ، وهي تحمل معها الفكر الاسلامي لتوصله إلى هناك ولتقيم على هديه دولة الإسلام في تلك الأصقاع من أرض الله . (طه ، ١٩٨٦:١٦ عن ابن القوطية، ١٩٣٦:٩٠٨). وقد كان فتح تلك البلاد التي أطلق عليها المسلمون اسم الأندلس والأمويون هم الحكام على المسلمين، أولئك – الأمويون – الذين حاولوا أن يجعلوا الخلافة الإسلامية حكماً وراثياً عضوضا في أسرتهم ، وقد تيسر لهم ذلك وعلى يد مؤسس دولتهم معاوية ، ولم يدخروا وسيلة من أجل إطالة أيام حكمهم على المسلمين حتى انهم انزلوا الفاجعة الكبرى بأهل البيت عليهم السلام في كربلاء حيث قتلهم الحسين بن علي عليهما السلام واهل بيته واصحابه وسبيهم لعيالاته وحرمه، وقد كان ذلك قبل ثلاثين سنة من فتح المسلمين الأندلس. وعلى كثرة الدواهي والنوازل التي حلت بأهل البيت عليهم السلام بعد التحاق النبي –صلى الله عليه وسلم– بالرفيق الأعلى تبقى كربلاء هي الأدهى والأعظم من بينها جميعاً . وقد أخذت هذه النازلة الكبرى أثرها في أهل البيت انفسهم وكذلك في شيعتهم ناهيك من أنها قد شكت الضمير الإنساني الحي وبالصميم.

حتى أضحت كربلاء معينا دفافاً تعب منه القرائح غذاءً هنيئاً سائغاً لما تجود به من نتاج ادبي ملأت به الآفاق تركي به الحسين عليه السلام والعصابة التي جاهدت معه وتبين عمق المأساة وفداحة الكارثة التي نزلت بال بيت الرسالة ، وتشنع بمن مهد ورضي وقام بتلك الفعلة للمشيئة، وتحث الفكر، وتحرك وتهيج الفكر والعواطف، وتدل كل أحرار الدنيا والمظلومين بالاسترشاد والاحتذاء، وتهديهم لاتخاذ الحسين عليه السلام واصحابه قدوة وعلى مر العصور والأجيال.ولما كان من كثرة النتاج الأدبي الذي قيل في كربلاء – خاصة الشعر – فقد لفت انتباه جملة من الباحثين والمؤلفين في شؤون الأدب فافردوا له التأليف والدراسات.ويكفينا أن نذكر مؤلفاً واحداً مكوناً من ثمانية مجلدات تضمنت الشعر الذي قيل في الحسين عليه السلام وكربلائه ، هو "أدب الطف" للسيد جواد شبر رحمه الله ، ونحن نقطع بأن هذا السفر على عظم فائدته وسعة محتواه لم يتمكن من الإحاطة بكل ما قبل شعراً عن كربلاء، وكذلك لم يأت بكل الشعراء الذين ذكروا الحسين عليه السلام بشعرهم هذا فيمن عاصروا المؤلف أو سبقوه فكيف والزمن جواد رعوف.ويمكننا القول قاطعين بأنه ما من أحد من شعراء الشيعة قد غادر كربلاء ولم يقف عندها، بل أنهم جميعا حطوا الرحال بطفها ، وأطالوا الوقوف والبقاء بها ، فبكوا وابكوا.وكان أول المتقدمين على مواكب الشعراء من حيث اللحاظ الزمني بالوقوف عند الحسين عليه السلام وكربلائه عقبة بن عمر السهمي من بني سهم بن عوف بن غالب، وهو يقول : (الأمين ، ١٩٨٩م:٣٧).

مَرَرْتُ على قبرِ الحُسينِ بِكَربلا فَفاضَ عليه مِن دُموعي غَزيرُها

فَما زِلتُ أَرثِيهِ وأَبكي لِشَجْوِهِ وَيُسعِدُ عَيني دَمعُها وزَفيرُها

وقد كان من تشجيع وطلب أئمة أهل البيت عليهم السلام من شعرائهم رثاء الحسين عليه السلام قوة دافعة لأولئك الشعراء بما زخوا به الأدب العربي واتحفوه بنتاجهم الثرّ الغزير الذي شكلت الكثير من قصائده عيون الشعر العربي وروائعه . فهذا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حينما يدخل عليه ابو هارون ، المكفوف ، وينشده شعرا بحق مصيبة جده الحسين عليه السلام يبكي ، ثم يقول لأبي هارون "انشدني كما تنشدون" –يعني بالرقة– يقول ابو هارون فأنشدته: (ابن قوقوبه، ١٣٥٦ هـ. ش: ١٠٤).

أُمرُرْ على جدثِ الحسينِ وقل لأعظُمِه الزكيّهْ

ولن يتمكن أحد من إنكار إغناء شعر الرثاء الحسيني الأدب العربي ، وبرغم التهمة الموجهة لأدب التشيع بأنه أدب حزن والم وتشاؤم نتيجة لما ضج به من الحاج في رثاء الحسين عليه السلام، وتتبع لما لحق بآل البيت من ظلم وحيف وتقتيل وتشريد . إلا أن الواقع الذي رزح تحت وطأته الشيعة أخذ بأيدي شعرائهم إلى ما هم عليه من إظهار للحزن.وتتضح للناقد الحصيف حقيقة هي أن هذا الحزن تأجيج للمشاعر يبتغى منه تفجير الثورة في كل زمن. تلك الثورة التي وظفوا لها أدبهم أحسن توظيف مبتغين من ورائه عدم السماح للعواطف بالخفوت والخمود كي تستنهض النفوس باستثارة الأحاسيس وللشاعر لتصبح متضافرة متضامنة في خندق واحد مع الفكر تشد أزره وتبعث في أصحابه العزم والاندفاع والثبات . فمن ثنايا رثاء الحسين عليه السلام" "يستطيع الأدب الشيعي ، أن يبكي في ثورته وأن يثور في بكائه، وأن يسيطر على الموقف في كلتا الحالتين، لأنه يلقي من شظايا فؤاده .. والكبت حين يتصل بأعماق النفس ليمزج العقيدة بالعاطفة، يتصعد مع الزفرات ادبا يلهب ويبكي ويستبكي ، وفي الة الحزن معان لا تستطيع أن تعبر عنها انه المعافي. وإن تشابهتا في التوقيع، هذا ما يجعل أدب الشيعة في القمة من أدب المسلمين ، وفي الذروة من ادب العروبة، وهذا بعض ما استفاده الشيعة من يوم الحسين عليه السلام ، وأيام العترة في التاريخ، وايامهم في التاريخ دموع ودماء". (آمين، ١٩٩١، العدد ١١: ١٠٣٤).

المطلب الأول التشيع في الأندلس

والأندلس تلك البلاد النائية عن الأرض التي قتل فيها الحسين عليه السلام والتي افتتحت في أيام دولة عدوة لآل البيت عليهم السلام غصبت منهم خلافة المسلمين ، و حاولت جاهدة أن تعفو ذكرهم من الأرض واذهان الأمة، وعلى وجه الخصوص في الأندلس ، وذلك بإشاعتها الثقافة الأموية الخاصة ، وسعيها لتجاهل كل شئ يمت لأهل البيت بوصل ، بل تناسيه وعدم ذكره مطلقاً، بل ومحاربته. إلا أنه وبالرغم من كل هذا فلم تكن الأندلس بأقل حظا من غيرها من أرجاء بلاد الله التي دخلها الإسلام في معرفة أهل البيت والتعاطف معهم، بل والذوبان فيهم والمطالبة بحقهم ونبذ من عاداهم وقتلهم ، والسعي جاهدة لطرحه ولفظه وهذ اركان ما اقامه من كيان قد شيد اساسه على معاداة اهل البيت المطهر.ولعل هذا الكلام يسترعي الانتباه ويثير بعض ما في النفوس ذلك من أنها أفهمت بأن الأندلس أموية الفتح أموية السقوط بناءً على ما حاولت أن تصوره بعض الأفلام بقصد او بغير قصد، أو بسبب عدم اهتمامنا بشأن ذلك الفردوس المفقود "الأندلس". وعدم متابعتنا لتاريخه بما يجب ويستحق.ومن غير مبالغة ولا تضخيم يمكننا التفوه بأن الأندلس وبالرغم من كل الإطباق الحديدي الذي جهد الأمويون في ضربه عليها واستخلاصها لهم ولمواليهم وعدم السماح بدخول أي فكر إليها – ومهما كان مؤداه – غير الفكر الأموي إلا أنها كانت مرجلاً يغلي بالتشيع ، وقد تتابعت ثوراته العارمة فما كانت لتخمد ثورة بقوة الحديد والنار حتى تتفجر أخرى تكاد أن تطيح بالدولة الأموية هناك. (الغزالي ، ١٩٩٧:٢٨).أن إحدى هذه الثورات الشيعية – وفي زمن عبد الرحمن الداخل معيد الكيان الأموي على هيئة دولة في الأندلس بعد إزالته من الشرق على يد التشيع – كادت تقيم حكما شيعيا يسبق دولة الأدارسة في الغرب بعشرين عاماً. (الغزالي ، ١٩٩٧: ٣٩، نقلاً عن الذخيرة). ولم ينفك التشيع وثوراته المتتالية في الأندلس من ملاحقة التشكيلة الأموية القائمة هناك إلى أن أرداها سنة ٤٠٧هـ (الغزاليو ١٩٩٧: ٥١) مقيماً على انقاضها حكماً علوياً شيعياً اتخذ لنفسه اسم الخلافة وبدون أي تحفظ ومنذ الأيام الأولى. ومن الجدير ذكره أن تلك التسمية لم يجرؤ كيان الأمويين هناك على الصاقها بنفسه إلا في سنة ٣٦٦هـ على يد ثامن أمرائهم عبد الرحمن الناصر بالرغم من أن إمارتهم كانت قد وضعت لبناتها الأولى عام ١٣٨هـ.

المطلب الثاني رثاء الحسين عند الأندلسيين

بعد أن وضعنا اساساً عاماً لدى القارئ الكريم عن التشيع ووجوده في الأندلس نحاول الآن وضع يده على شئ من أدب التشيع هناك، وهنا يمكن القول – ومن دون مبالغة ايضا – بأن الأدب الشيعي هناك امسك بعصا السبق على عموم الأدب الأندلسي من جانب ، وأنه كاد يفوق الأدب الشيعي المشرقي من جانب آخر. فهو من حيث الغزارة والرصانة والإبداع والاعتناء بأمهات مطالب الفكر الشيعي له المقام الأعلى والمنزلة المكينة.فالمتربعون على عرش الأدب الأندلسي لا تجدهم إلا متشيعين من امثال ابن هاني . و ابن شهيد و ابن دراج ، وعبادة بن ماء السماء ، وابن الآبار البلنسي ، وابن أبي الخصال، و ابن عبدون ، وأبي بقاء الرندي ، وصفوان بن إدريس ، وغيرهم الكثير . فعندما يعقد ابن بسام الشنتريني فصلا" في "ذخيرته" لابن دراج ، وينقل قصيدته التي يمدح فيها على بن حمود مؤسس الدولة الشيعية في الأندلس والتي مطلعها:

لَعَلَّكِ يَا شمسُ عند الأصيلِ شَجِيتِ لِشَجْوِ الغرِيبِ الذَّليلِ

(ابن دراج، الديوان ١٩٩١: ٧٥ ، الشنتريني، ١٩٧٩ ق/م، : ٨٨ وما بعدها).

يجعلها من الهاشميات الغرّ ، ويقرضها بقوله : (وهذه القصيدة له طويلة ، وهي من الهاشميات الغر بناها من المسك والدر ، لا من الجص والآجر ، لا بل خلدها حديثا على الدهر ، وسربها مطالع النجوم الزهر ، لو قرعت سمع دعبل بن علي الخزاعي والكميت بن زيد الأسدي لأمسكا عن القول وبرنا إليها من القول والحول ، بل لو رآها السيد الحميري ، وكثير الخزاعي ، لأقاماها بينة على الدعوى، ولتلقياها بشارة على زعمهما بخروج الخيل من رضوى، وقد أثبتنا أكثرها أعلانا بجلالة قدرها واستحسانا لعجزها وصدرها وأولها). (الشنتريني، ١٩٧٩ ق / م: ٨٧). والأدب الشيعي الأندلسي لم يغفل عن الفاجعة الكبرى التي لحقت بالتشيع في كربلاء ، بل إنه امتاز عن الأدب الشيعي الشرقي وتعداه إلى أن قسما من أدبائه قد وقفوا من أنفسهم شعراءً لكربلاء ، وكفوا عن القول في غيرها ، وهذا لم يكن في الشرق من قبل ادباء التشيع بالرغم من أنهم نظموا الطوال في عاشوراء ، إلا أنهم جعلوا لباقي الأغراض الشعرية نصيبا في اشعارهم حتى ولو كان النظم في باقي الأغراض قليلا. وقد انفرد بعض شعراء التشيع الأندلسي بذلك، وذلك بانهم نظموا في رثاء الحسين عليه السلام ولا غير. (المغربي ، ١٩٧١، ج٢: ٢٦٠-٢٦١).ويعد أبو القاسم محمد ابن هانئ الأزدي الأندلسي الوالج الأول في غرض رثاء الحسين عليه السلام من شعراء التشيع في الأندلس، وهو بنفس الوقت أول شاعر شيعي عرفته الأندلس ولد ونشأ في إشبيلية في ايام عن دولة المروانيين الأمويين وبسبب اتهامه بالتشيع واتباع مذهب الفلاسفة، هرب من الأندلس إلى المغرب ، وعمره آنذاك سبع وعشرون سنة... ثم بلغ خبر ابن هانئ المعز الفاطمي فاستقدمه إلى القيروان وبالغ في

إكرامه". (ناجي, ١٩٦٢م : ٧٤).وكان ابن هانئ قد أورد رثاء الحسين عليه السلام في أول قصيدة مدح فيها العز لدين الله الفاطمي، والتي يقول فيها: (ابن هاني، الديوان, ١٩٨٤: ٧).

فكأنّ جَدّكَ في فوارسِ هاشِمٍ منهم بحيثُ يرى الحسينَ ذبيحا

وما كان ابن هانئ ليتجافى عن كربلاء ورثاء الحسين عليه السلام في العديد من قصائد شعره التي نذرها للذود عن التشيع والدفاع عن رموزه من الفاطميين ، بل وفي أكثر المناسبات التي نظم فيها ابن هانئ ، كقوله في إحدى قصائده: (ناجي ، ١٩٩٢:٨٥).

إلا إنّ يوماً هاشميّاً أظلَّهم يطيرُ فراخ الهام من كل مجثم
كيومِ يزيدٍ والسّبايا طريدةٌ على كلّ موّارِ الملاطِ غشمشم
وقد غصّتِ البيداءُ بالعيسِ فوقها كرائمُ أبناءِ النّبيّ المكرَّم

ولم يفت شعراء التشيع في الأندلس الذين جاءوا بعد ابن هاني ندب الحسين عليه السلام ورثاءه والوقوف عند كربلاء ومصائبها فهذا ابن دراج يثبت ذلك في هاشميته التي مر علينا تقريض ابن بسام لها، فيقول

تهاوت بهم مصعقات الرواعد في مدجناتِ الضحى والأصيلْ
بوارق ظلماء ظـــلمٍ قبيحٍ دما من حمـــى أو دما من قتيلْ
فأذهل مرضـعةً عن رضيعْ وأنسى الحمـــائمَ ذكرَ الهديلْ

وهذا أيضا الوزير ابن عبدون في رائيته الشهيرة يذكر بمصاب الحسين عليه السلام ويعرج عليه هاجماً على عبيد الله بن زياد وشمر لجرائمها على حرمة الأمام الحسين عليه السلام ، ويصمهما بالعار والخسران بقوله:

وأجْزَرَت سيف أشْقاها أبَا حسنٍ .... وأمْكَنَتْ من حُسين راحَتَي شَمِر
وليتَها إذ فَدَت عمراً بخَارِجَةٍ .... فَدت عَليًّا بمن شاءَت من البَشر
وأرَدْت ابنَ زيادٍ بالحُسين فلم .... يَبُؤْ بِشِسْعٍ له قد طاحَ أو ظُفُر

(الشنتريني، ١٩٧٩ق٢/م٢: ٧٢٠-٧٣٤).

وهكذا بقي رثاء الحسين عليه السلام في الشعر الشيعي الأندلسي يأتي طياً وضميمة في القصيدة الشعرية مع مواضيع وأغراض أخرى مساوقا بذلك كيفية وروده في شقيقه الشعر المشرقي، حتى جاء ابو عبد الله محمد بن مسعود ابن أبي الخصال الشقوري (٤٦٥هـ - ٥٤٠هـ) وقد استحبى مأساة الحسين عليه السلام وجدد ذكر كربلاء ، ولاشك انه انشا عدة قصائد وقطعاً نثرية في الموضوع ، لأن الرجل كان غزير الانتاج جياش العاطفة، يمنح من نفس مليئة بالأحزان تتفجر من أغوار عميقة ، لكن لم تسمع من ذلك الانتاج إلا بعض ابيات وخلا قصائد نبوية ، وقصيدتين رواهما ابن خير عن الشاعر نفسه كما نص على ذلك في كتابه المفيد (الفهرست). (الهراس الدكتور عبد السلام، العدد ١٤، السنة السادسة)والذي يهمنا من النص السالف الذكر، وما يمكن أن نستفيده منه هو بيان شاعرية ابن أبي الخصال، ونفسه المليئة شعراً ، وإشارة النص إلى ضياع الأدب الشيعي الأندلسي بلحاظه العام ، ناهيك عن رثاء الحسين عليه السلام ، ثم تتضح لنا أيضاً السنة الشعرية الجديدة التي اختطها وابدعها ابن أبي الخصال في رثائه الحسين عليه السلام وذلك بأنه جعل رثاء الحسين عليه السلام في قصائد مستقلة لا يشوب تلك القصائد أي غرض آخر. وقد أكد هذا المعنى الدكتور عبد السلام الهراس والأستاذ سعيد أحمد عراب في مقدمتهما عند تحقيقهما لكتاب (دور السمط في خير السبط) بقولهما: "ويدشن - في حدود علمنا - أبو عبد الله محمد ابن أبي الخصال الشقوري (٤٦٥هـ - ٥٤٠هـ) هذا النوع من الأدب فيبك الحسين عليه السلام في قصيدتين حسب ما وصل عن ابن خير ، إحداهما على قافية النون الرفدة بالألف، والثانية على قافية الثاء بعد الألف". (ابن الآبار، ١٩٧٢: المقدمة).فيقول في الأولى: (ابن خير، ١٩٦١: ٤٢).

عَرِّجْ على الطفِّ إنْ فاتَتكَ مكرُمةٌ وَاذْرِ الدُموعَ بها سَحّاً وهَتّانا
وَابْكِ الحسينَ ومَن وافى مَنيَّتَهُ في كربلاءَ مَضَوا مَثْنى ووُحدانا
يا ليتَ أنّي جَريحُ الطفِّ دونَهُمُ أُهينُ نفساً تُفيدُ العِزَّ مَن هانا
إنّي لأجعلُ حزني فيهما تَرَفاً يكونُ للذنبِ تكفيراً وغُفرانا
للهِ عَينٌ بكت أبناءَ فاطمةٍ تَرى البُكا لهمُ تَقوى وإيمانا

ويقول ابن أبي الخصال في قصيدته الثانية المستقلة في رثاء الحسين عليه السلام والتي تبلغ تسع وعشرين بيتاً: (الهراس ، العدد ١٤، السنة السادسة) .

لهف نفسي على الحسين ومن لي ان يقضي حقوقه عبراتي
يا جنوني برئت منك اذا لم تغرقي في بحورها نظراتي
لهف نفسي على قتيل يعزى عنه خير الآباء والامهات
اي عيش يطيب بعد قتيل مات بالمرهفات اي ممات
حرموه ماء الفرات ولوا جده ماسقوا بماء الفرات
ان في كربلاء كربا سقيما فتن المؤمنين والمؤمنات

وبالرغم من أن ابن أبي الخصال قد أفرد لرثاء الحسين عليه السلام قصائد مستقلة إلا إنه لم يقتنع بإيراد قصائده الأخرى من دون ذكر الحسين عليه السلام وكربلاء ومن ذلك ما جاء في نبويته المسماة "معراج للمناقب ومنهاج الحد الثاقب" وكان قد عارض بها قصائد حسان بن ثابت ، وقد خمسها أبو عبد الله محمد بن الحسين بن جيش الرسي وبفضل ذلك التخميس استخلص منها الدكتور عبد السلام الهراس جملة من الأبيات منها: (الهراس ، العدد ١٤، السنة السادسة . نقلاً عن أزهار الرياض).

ويلحقهم فضلُ الشفاعةِ بالرضى كلوا واشربوا من خيرِ أكلٍ ومشربِ
سوى أن قوماً جعجعوا بابن بنته وحفّوا به من قـــــاتلٍ ومؤلّبِ
وانحوا على أوداجِهِ كلَّ مرهفٍ طريـــــرٍ وحزّوا رأسَه لتتوّبِ

وما أن سن ابن أبي الخصال افراد رثاء الحسين عليه السلام عرضا خاصا مستقلا حتى ظهر من بعده شاعر جاء بأكثر مما جاء به ابن أبي الخصال ، حيث أنه وقف من نفسه وافرد شعره بأكمله في أهل البيت عليهم السلام ورثاء الحسين فقط وهذا الشاعر هو أبو البحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. ومن طريف ما يذكر عن أبي البحر هذا بأنه كان كغيره من شعراء العرب يقول الشعر في اغراض متعددة ويمتدح الأمراء والسلاطين (واشتهر انه قصد حضرة مراكش ومدح أعيانها فلم يحصل على طائل فاقسم الا يعود لمدح أحد منهم، وقصرت أمداحه على أهل البيت عليهم السلام وأكثر من تابين الحسين رضي الله عنه ، فرأى المنصور "منصور بني عبد المؤمن" في منامه النبي) "يشفع له فيه وسماه له ، فقام المنصور وسأل عنه ، فعرف قصته فأغناه عن الخلق يومئذٍ". (المغربي ابن سعيد، ١٩٧١، ج ٢، ص ٢٦٠-٢٦١).وقد تناقلت أكثر المصادر هذه الحادثة لأبي البحر ، وكذلك وردت على السنة عظماء عصره ومن بينهم الشاعر محمد بن مرج الكحل الذي خلدها شعرا ، بقوله: (الأمين ، ١٩٨١، م٤: ٢١٥).

ونبلت عن صفوان نبل كرامة حباه بها الرحمن والخلفاءُ
ولله في صفوان أيـــة آيةٍ تكشف عنها للعظام غطاءُ
ما ضاع منه في الحسين انتصاره ولا خاب عند الله فيه جزاءُ

ولحق شعر صفوان – مع وقفه على الحسين عليه السلام – الضياع شأنه كأكثر الأدب الشيعي في الأندلس ، وقد أشار جملة من الباحثين إلى هذا الضياع المؤسف "وعلى الرغم من أن الصفوان رسائل بديعة وقصائد جليلة في مراثي الحسين عليه السلام فإنه لم يصلنا من أدبه في هذا الغرض إلا قصيدتان وبضعة أبيات". (ابن الأبار، ١٩٧٢ ، المقدمة)وقد ذكر القصيدة الأولى كل من كتب عن ابن إدريس والتي يقول فيها: (ابن الخطيب ، ١٩٣٤:٢٧-٣٨).

سَلاَمٌ كأَزهار الرُّبَى يُتَنَسّمُ عَلَى مَنزِلٍ منهُ الهُدَى يُتَعَلّمُ
عَلَى مَشهَدٍ لَو كُنت حَاضِرَ أَهلِهِ لَعَايَنت أعضَاءَ النَّبِيّ تُقَسَّمُ
عَلَى كَربَلا لا أَخلَفَ الغَيثُ كَربَلا وَإِلا فَإِنَّ الدَّمعَ أندَى وَأكرَمُ

والقصيدة طويلة؛ ولكن بعض من أورد القصيدة قد حذف منها بيتين فيما اثبت هذين البيتين بعض آخر وقد تتبعنا القصيدة في مضانها الأصلية فوجدنا البيتين كما هما :-

إِذَن صَدَقَ الصِّدِّيـــقُ حَملَةَ مُقدِمٍ وَمَا فَارَقَ الفَارُوقَ مَاضٍ وَلَهذَمُ
وَعَاثَ بِهِم عُثمَانُ عَيثَ ابنِ حُرَّةٍ وَأَعلَى عَلِيٌّ كَعبَ مَن كَانَ يُهضَمُ

ومن الذين أثبتوهما الدكتور عبد اللطيف السعداني في مقاله "حركة التشيع في الغرب ومظاهرها" (السعداني ، ١٣٩١ العدد ٣، السنة الأولى: ٥٤-٧٠). "وكانت قصائد صفوان ينشدها المسمعون" (نفس المصدر السابق) في مراسيم ومواكب العزاء الحسيني وقد ذكر ذلك ابن الخطيب. (ابن الخطيب ، ١٩٣٤:٣٦)وأما قصيدة صفوان الثانية ، فمنها قوله: (الأمين ، ١٩٨٦، م٤:٣٠٢).

أَومِض بِبَرقِ الأَضلُعِ واسكُب غَمامَ الأَدمُعِ
وَاحزَن طَوِيلاً وَاجزَعِ فَهـــوَ مَكَانُ الجَزَعِ
وانثُر دِمَاءَ المُقلَتَينِ تَألّمـــا عَلَى الحُسَينِ

وممن عرفوا بصفوان وأثنوا عليه وعلى طرفته في رثاء الحسين عليه السلام وحاولوا تقليده الشاعر ابو البقاء الرندي في كتابه "روضة الأنس ونزهة النفس" إذ يقول : "وقد رثي الحسين قديما وحديثا ، وممن بكاه فاحزن ورثاه واجاد ابو بحر صفوان بن إدريس الأندلسي رحمه الله ، ومن عجيب ما حكي عنه انه دخل مراكش...". (الأمين ، ١٩٨٦، م٤: ٣٠٣). ثم يورد قصة الرؤيا التي أشرنا لها ويقول أبو البقاء (واجاد ما شاء الخمسة التي نظم اقسامها على حروف العجم وذيل مراكزها بإعجاز من قصيدة امرئ القيس "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل") ومنها:

دِيارُ الهدى بالخيفِ والحجراتِ إلى ملتقى جمعٍ إلى عرفاتِ
مجاري سيولِ الغيمِ والعبــراتِ معارفُ هدي أصبحت نكراتِ
لما نسجتها من جنوبٍ وشمألِ

(الأمين ، ١٩٨١م، م٤:٣٠٢).

ومن الذين رثوا الحسين عليه السلام من شعراء التشيع الأندلسي شاعر معاصر لأبي البحر صفوان بن إدريس وهو ناهض بن محمد الوادي آشي المتوفي "١١٠هـ" والذ أفرد بدوره قصائد مستقلة أيضا في الرثاء الحسيني، وهذا الشاعر لم يصلنا من شعره في هذا الغرض إلا قصيدة واحدة "شديدة الأسى والإلتياع ، وقد اختار لها إطارا فنيا أضفى عليها ظلالا من الحزن وشحنها بأنفاس شجية باكية". (ابن الأبار، ١٩٧٢، المقدمة). وقد أورد قصيدة الوادي آشي الدكتور عبد السلام الهراس وكذلك ذكرها صاحب دائرة المعارف الشيعية ولكنهما نسباها غفلة لأبي البحر صفوان بن إدريس ، وعند تتبعنا للمضان والمصادر القديمة وجدنا بأن المقري في نفح الطيب ذكرها كاملة ، وقد نسبها لقائلها ناهض بن محمد ، ومنها: (التلمساني، ١٩٨٦، ج ٦٩:٧ ، الغزالي ، ١٩٧٩:٢٦١-٢٦٣).

أمرنـةٌ سجعتْ بعـــــودِ أراكِ قولي مولّهةً علامَ بُكاكِ
أجفاك إلفُكِ أمْ بليت بفرقـــــةٍ أم لاح برقٌ بالحمى فشجاكِ
لو كان حقّاً ما ادّعيت مِنْ الجوى يوماً لما طرق الجفون كراكِ
ولِما ألفتِ الروضَ يأرجُ عرفـــهُ وجعلتِ بين فروعهِ مَغناكِ
ولِما اتّخذتِ من الغصون منصّةً ولِما بدتْ مخضوبةً كفّاكِ
لو كنتِ مثلي ما أفقت مِن البكا لا تحسبي شكواي مِنْ شكواكِ
أبكي قتيلَ الطّفّ فرع نبيّنـــــا أكرمْ بفرعٍ للنّبوةِ زاكي
أيزيدُ لو راعيتَ حُرمـــــةَ جدّهِ لمْ تقتنصْ ليثَ العرين الشاكي

وما أن انتهيا من على مسرح الحياة أبو البحر صفوان ومعاصره الوادي آشي حتى أخذ راية رداء الحسين عليه السلام شاعر اندلسي مغلق آخر هو ابو محمد صالح بن شريف المعروف بأبي البقاء الرندي (١٠١هـ - ٦٨٤هـ) وقد أكثر في رثاء الحسين عليه السلام ، وكان أكثر شعره في هذا الباب قد اصابه الضياع شانه شان اشعار افرانه ومن جدير ما يذكر إعجاب الرندي بأبي البحر حيث يقول عنه في كتابه "روضة الأنس ونزهة النفس" وقد العت بطريقة صفوان رحمه الله في رثائه الحسين عليه السلام بجلمة حدوت فيها حدوه فبلغت شاوه بما هو في المعنى الغرب وإلى الحال انسب، وذلك أني صنعت مخمسة على حروف المعجم مذيلة بإعجاز من قصيدة زهير، فيها:

أبيتُ فلا يساعدني عزاءُ إذا ذُكرَ الحسينُ و(كربلاءُ)
فخلِّ الوجدَ يفعلُ ما يشاءُ لمثــلِ اليومَ يدَّخرُ البكاءُ
عفا من آلِ فاطمةَ الجواءُ
بعينكَ يا رسولَ اللهِ ما بي دموعي في انهمالٍ وانسكابِ

وقلبي في انتهابٍ والتهابِ على دارٍ مكـــرَّمةِ الجنابِ

عفتها الريحُ بعدكَ والسماءُ

(الأمين، ١٩٨٩ م ٤: ٢١٥).

ومن شعراء الرثاء الحسيني شاعر معاصر للسان الدين ابن الخطيب (المقري التلمساني، ١٩٨٦، ج ١٠، ص١٦٦) هو الشاعر ابن جابر الإلبيري محمد بن أحمد بن الهواري ، ومن رثائه للحسين قوله: (نفس المصدر، ج١٠:٣٦٦).

وكان الحسين الصارم الحازم الذي متى يقصر الأبطال في الحرب يشدد

شبيه رسول الله في البأس والندى وخير شهيد ذاق طعم المهنـــــــد

لمصرعه تبكي العيون وحقهـــــا فلله من جـــــرم وعظـــم تودد

فبعدا وسحقـا لليزيــد وشمـــــره ومن سار مسرى ذلك المقصد الردي

ولابن المناصف موسى بن عيسى المتوفي (٦٣٧هـ) ارجوزة في مقتل الحسين نظمها باقتراح ابراهيم الدرعي الكفيف وقد وقف عليها ابن عبد الملك بخطه . (نفس المصدر، ج ٦، ص ٢٧٢)، ولكن لم يصل الينا منها شيء وهذا من الدواهي التي أصابت الأدب العربي بشكل عام والأدب الشيعي على الخصوص.

الخاتمة

بعد هذا العرض فقد تبين لنا وعلى الجملة كيف كان عظم التشيع وركائزه في الأندلس ، وكيف كان رثاء الحسين عليه السلام عند الشعراء الشيعة الأندلسيين وكيفية تطوره في اشعارهم من وروده ضمنا في قصائدهم إلى إفراد القصائد المستقلة له إلى تخصص بعض شعراء التشيع بالرثاء الحسيني وعدم النظم في غيره البتة ، وكذلك قد أشرنا بانه لم يغادر أحد من شعراء التشيع الوقوف في كربلاء والبكاء عليها ، وكذلك قد المحنا إلى ضياع أكثر هذا النوع من الشعر وسنحاول الكتابة عن هذا الجانب في بحث مستقل إن شاء الله أن وفقنا للكتابة عن الجوانب الفكرية في شعر الرثاء الحسيني التي لم نعرج عليها في بحثنا هذا واكتفينا فقط بالإشارة إلى موارد رثاء الحسين عليه السلام عند شعراء الأندلس.

مصادر البحث

١- ابن الخطيب لسان الدين, أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام, ١٩٣٤م, المطبعة الجديدة.

٢- ابن خلدون عبد الرحمن – العبر وديوان المبتدأ والخب, ١٩٦١م, بيروت.

٣- ابن خير, الفهرست ١٩٦١.

٤- ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ١٩٢٦م, نشر خوليان رابيبرا , مدريد.

٥- ابن قولويه , كامل الزيارات, ١٣٥٦هـ ش, الطبعة المرتضوية , النجف.

٦- الأمين السيد حسن – دائرة المعارف الشيعية, ١٩٨٦م, ط٣، دار التعارف للمطبوعات , بيروت.

٧- الأمين السيد حسن , أعيان الشيعة, ١٩٨٩م, دار التعارف للمطبوعات – بيروت .

٨- شبر السيد جواد, أدب الطف , ١٩٨٨م, دار المرتضى , ط١، بيروت، .

٩- الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام – الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة – تحقيق , د. إحسان عباس, ١٩٧٩م, دار الثقافة – بيروت.

١٠- طه الدكتور عبد الواحد ذنون , دراسات أندلسية, رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٦٧ لسنة١٩٨٦م.

١١- الغزالي الدكتور عبد الأمير عبد الزهرة عناد , أدب التشيع في الأندلس، رسالة ماجستير باللغة العربية , ١٩٩٧م, الجامعة الإسلامية الحرة , إيران , قم.

١٢- القضاعي البلنسي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن الأبار , درر السمط في خبر السبط – تحقيق – د. عبد السلام الهراس ،وسعيد أحمد عراب , ١٩٧٢م, – تطوان.

١٣- المغربي بان سعيد, المغرب في حلى الغرب, تحقيق د. شوقي ضيف, ١٩٧١م, دار المعارف – القاهرة ط٣.

١٤- المقري التلمساني احمد بن محمد, ١٩٨٦م, نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب , تحقيق الشيخ محمد البقاعي, ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

١٥- ناجي الدكتور منير, ١٩٦٣م, ابن هانئ الأندلسي, ط١, دار الجامعيين .

الدواوين:

١- ديوان ابن دراج – تحقيق – د. محمود علي مكي – منشورات المكتب الإسلامي،١٩٦١م, ، ط١، دمشق.

٢- ديوان ابن هانئ الأندلسي, ١٩٨٦م, طبع بيروت بالمطبعة اللبنانية،.

المجلات:

١- مجلة المناهل – تصدرها وزارة الشؤون الثقافية في المملكة الغربية.

٢- مجلة الهادي – دار التبليغ الإسلامي – إيران – قم – العدد ٢ السنة الأولى – ١٣٩١هـ.

٣- مجلة الموسم – هولندا – العدد ١١- سنة ١٩٩١ .